



لغة العلاقات البشرية (2) (عبر ديوان "أغوار النفس") هل العلاج النفسي "كَلِمَة"؟
(سبع لوحات)

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiattrakhawy@hotmail.com

المحتوى

الأهداء

مقدمة

الفصل الأول: عن نمو الكلام وعلاقته بالمعنى واللغة

الفصل الثاني: اللوحات (1 - 7)

اللوحة الأولى: من شطى لُشطى

اللوحة الثانية: الركن بناعى متحضّر

اللوحة الثالثة: رِيحَة بنى آدم

اللوحة الرابعة: الموت السرى المتدجّاب

اللوحة الخامسة: الله ياسيادى!!!!.....

اللوحة السادسة: قبر رخام

اللوحة السابعة: حمام الزاجل

الكلام هو من أحدث
الأدوات التى تساعد البشر
على التواصل فيما بينهم لكنه
ليس بالضرورة الأداة الأقدر،
وما يهنا هنا هو تحديد متى
ينفصل الكلام عن تاريخ
تطوره، ومتى ينفصل عن
المعنى، وعن الغاية، وعن
سائر وظائفه، بل وعن اللغة،
ومتى يؤدي عكس وظيفته

إهداء

هو هو إهداء الديوان "أغوار النفس":
يا تَرَى الكَلِمَة حا تقدر تَفْشَى سرى؟
يا ترى مين فيكو يَسْتَحْمَل مَرارتى؟
يا ترى مين فيكو حائساعى شَقَاى؟
أهدى مين؟ أهدى إيه؟
هوّا عُمَر المرّ يَتَهَادى يا عالم؟
قلت انطّ ف وسط خلق الله جميعاً..
همّه دول حمل الكَلَام المرّ والدّم اللّى يغلبى.
هُمّا دول حمل الحقيقة.
قلت أهديها لبلدنا،
للى غنى .. واللّى صحّاه الغنى.
يا مَاقُنُوا يا أهل مصر يا فنّانين،
يا غلابة، يا حضارة، يا تاريخ.

يستقل اللفظ عن ما يشير إليه
"حالا"، ويصبح هو ذاته كيانا
قائما بذاته، يحتوى (يتضمن)
المعنى المراد، سواء حضر
الشيء المراد أمامه (أمام
حواسه) أم حضر فى
خاكرته أم فى وعيه

يا ما قُلْتُوا، وَيَا مَا عَدْتُوا.

صَحَّيُونِي.

أوللى بَنَتْ مَصْرَ كَاتٍ فِي الْأَصْلِ: غَنِيَّةٌ.]

الهدية لى غنى، قال: "بهيّة لى ياسين"،

واللى صحى لىلى والمجنون يغنوا لمصر تانى.

واللى علمنى حلاوة المر .. من جوا النقاية،

واللى .. واللى .. واللى .. واللى .. والجميع.

يا ترى تقبل يا شاعر مصر يا صاحب الربابة؟

يا ترى يا اهل الحضارة والكلام الحلو واللحن الأذان.

تقبلوا منى الهدية؟

أصلى غاوى،

بس يا خسارة مانيش لا بس طاقية،

قلت انقط بالكلام.

مقدمة:

هذا هو الكتاب الثانى انطلاقاً من ديوان "أغوار النفس" (بالعامية المصرية)، وقد كان الكتاب الأول: "مقدمة فى نقد العلاج النفسى بين الشائع والإعلام والعلم والناس" تمهيداً عاماً لهذه الكتب الثلاثة التالية، المنبثقة من نفس الديوان.

فى هذا الكتاب الثانى نعرض سبع لوحات شعرية على "لسان حال" أصحابها أو تقمصاً لتصوراتى عنهم كما صاغها الشعر، وليس كما هم، وكنت أحسب أنها لوحات نقد العلاج النفسى إلا أننى تبينت أن جرعة النفسراضية التركيبية بها أكبر وأهم، الأمر الذى دفعنى لنشرها مسلسلية فى النشرة اليومية "الإنسان والتطور" باسم "فقه العلاقات البشرية" وهو الاسم الذى ارتضيته للأعمال الأربعة الحالية.

هذا، وقد نشرت لوحات هذا الجزء فى الديوان تحت عنوان "جنازات"، لكننى عدلت عن ذلك وفضلت أن تنشر كل الصور الشعرية باسم واحد وهو "لوحات".

وكما ذكرت فى المقدمة العامة فى الكتاب الأول فإنه سوف يتبع هذا الكتاب الحالى الكتاب الثالث بعنوان: "قراءة فى عيون الناس" ويشمل خمس عشرة لوحة.

ثم الكتاب الرابع بعنوان "تجليات يحيى الرخاوى: بين السيرة والمسار" وهو ما شرحت ما يميزه فى المقدمة العامة، ثم سيأتى ذكر مصادره وطبيعته فى مقدمته حين يظهر.

الفصل الأول:

عن نمو الكلام وعلاقته بالمعنى واللغة

الكلام هو من أحدث الأدوات التى تساعد البشر على التواصل فيما بينهم لكنه ليس بالضرورة الأداة الأقدر، وما يهمنا هنا هو تحديد متى يفصل الكلام عن تاريخ تطوره، ومتى يفصل عن المعنى، وعن الغاية، وعن سائر وظائفه، بل وعن اللغة، ومتى يؤدى عكس وظيفته ([1])؟

1- ينشأ الكلام عند الطفل حين يرتبط الصوت عادة بما تشير إليه الكلمة، حتى أنه كثيراً ما يستعمل الطفل نفس الكلمة، لتعنى معانى كثيرة، وكل الفرق يكون فى التنغيم وما يصاحبه من

قد يستعمل اللفظ تماماً عن موضوعه بشكل مباشر ليصبح موضوعاً فى ذاته، وهذا لا يعنى أنه يفصل عن المعنى أو عن الغاية التى نشأ ليؤديها، وإنما يعنى أن اللفظ يكتسب قدرة ذاتية، يستعملها فى وظيفته للاقتصاد، والتواهيق والتباديل

مع تطور القدرة الكلامية، لابد أن تخضع جرعة التركيز على أن يحمل كل لفظ كل المعنى المتضمن فيه، ذلك المعنى الذى نشأ اللفظ لاحتوائه

نحن فى حاجة مناسبة لقدرة من التخفيف بحول دون تضمين كل لفظ كل معناه، وهكذا يصبح هذا التخفيف حيلة دفاعية تساعدنا على تجنب المواجهة المعطلة بالسرعة البطينة

إشارات نتيجة لحضور الموضوع (الشيء) عادة أمام حواسه، أو نتيجة لاختلاف السياق أو الموقف الذى يوجه فيه نفس الكلمة المنطوقة إلى المعنى المختلف. المثال الذى أحب أن أستشهد به كان طفلا عزيزا بمثابة حفيدى - أصبح الآن جراحا استشاريا كبيرا فى إنجلترا - نطق كلمة "كرة" مبكرا، ولم تكن بهذا الوضوح بل أظن أنها كانت "كووية"، وبدأ يطلق نفس اللفظ على عدد هائل من الأشياء، بل والأشخاص، مع تغير التنغيم والإيقاع المصاحب أحيانا بالإشارة إلى ما يريد، فهذا "كويّة"، وذلك "كووويّااا"، وتلك "كوة"، وهذه "كرة" (بعد أن استطاع نطق الراء إلا قليلا)، هذه المرحلة هى نوع من الربط بين الصوت والإشارة والموضوع، فهى مرحلة التجربة والخطأ، حتى تتميز الأشياء فيما بعد مع اكتساب أبجدية دلالية أكثر فأكثر Denotation.

2- يستقل اللفظ عن ما يشير إليه "حالا"، ويصبح هو ذاته كيانا قائما بذاته، يحتوى (يتضمن) المعنى المراد، سواء حضر الشيء المراد أمامه (أمام حواسه) أم حضر فى ذاكرته أم فى وعيه، هنا يتضمن اللفظ محتواه بما يعنيه، وهذه هى مرحلة التضمن Connotation.

3- قد يستقل اللفظ تماما عن موضوعه بشكل مباشر ليصبح موضوعا فى ذاته، وهذا لا يعنى أنه ينفصل عن المعنى أو عن الغاية التى نشأ ليؤديها، وإنما يعنى أن اللفظ يكتسب قدرة ذاتية، يستعملها فى وظيفته للاقتصاد، والتوافق والتبادل، مما يتيح له كرمز له مضمونه أن يقوم بتشكيل المفهوم تلو المفهوم، فى تصعيد متكامل Verbalization.

فإذا رجعنا الآن إلى ذلك الطفل بعد أن أصبح جراحا "استشاريا بريطانيا" عظيما، ذلك الطفل الذى كان يستعمل لفظ الكرة لكل شيء تقريبا، وطلبنا منه تعريف لفظ الكرة، فقد يرجع إلى القاموس، وسوف يجد أن الكرة: "هى كل جسم مستدير، ومنه الكرة الأرضية، والكرة أداة مستديرة من الجلد ونحوه يلعب بها..(الوسيط) إلخ"، وهكذا أصبح للفظ مضمون متعارف عليه بالتحديد لإفادة الحضور العياني لشيء بذاته حتى لو لم يوجد هذا الشيء حالا.

فإذا انتقلنا إلى المجاز وقلنا بالعامية "الكرة اجوان" (حتى لو ترجمناها إلى الفصحى "الكرة ليست إلا أهدافا")، فإننا لا نعنى هذا الجسم المستدير... إلخ، كما ورد فى المعجم، وإنما نحن نتكلم عن مفهوم أكثر تعقيدا يشير إلى أنه "من لم يحرز أهدافا فى ملعب الكرة، فكأنه لم ينجح مهما بلغت مهارته،" حتى لو تكلمنا عن "اتحاد الكرة"، فإننا نعنى معنى غير التضمن المغلق، وغير المفهوم المجازى الذى أشرنا إليه حالا، فبمجرد أن يصبح لفظ الكرة "مضافا إليه"، يختلف معناه، وهكذا.

اغتراب الكلام:

مع تطور القدرة الكلامية، لا بد أن تخف جرعة التركيز على أن يحمل كل لفظ كل المعنى المتضمن فيه، ذلك المعنى الذى نشأ اللفظ لاحتوائه، وهذا جيد اقتصاديا للتخفيف من عبء حضور كل المعنى فى كل اللفظ ليحتل بؤرة الوعي باستمرار، إذ أن هذا الحضور الكلى المستحيل لا بد وأن يبطئ من سرعة الإفادة والتواصل حتى ربما تتعطل، ومن مثل هذا فنحن فى حاجة مناسبة لقدر من التخفيف يحول دون تضمين كل لفظ كل معناه، وهكذا يصبح هذا التخفيف حيلة دفاعية تساعدنا على تجنب المواجهة المعطلة بالسرعة البطيئة، وأيضا يساعدنا على التخلي المشروع عن مسئولية تفعيل ما تضمنه كل كلمة من معنى قد يتطلب فعلا وموقفا وقرارا حالا... إلخ.

مثل أية آلية دفاعية، إذا ما زادت وظيفتها الدفاعية عن حاجتنا إليها تتحرف بمسار النمو أو توقفه تماما، دعونا نتناول الآن ما يحدث للكلام إذا انحرف بالنمو عن مساره إلى ما هو زائف مغترب، إن ما يحدث حين ينفصل الكلام أكثر فأكثر عن مضمونه وحفره هو: أن يستقل عن معناه بدرجات

مثل أية آلية دفاعية، إذا ما زادت وظيفتها الدفاعية عن حاجتنا إليها تتحرف بمسار النمو أو توقفه تماما، دعونا نتناول الآن ما يحدث للكلام إذا انحرف بالنمو عن مساره إلى ما هو زائف مغترب

إن ما يحدث حين ينفصل الكلام أكثر فأكثر عن مضمونه وحفره هو: أن يستقل عن معناه بدرجات متزايدة حتى يفقد أصول وظائفه، فبدلا من أن يصعب تبادله سعيا إلى الفهم والتفاهم، يصبح تبادله أقرب إلى الدفاعات ضد الفهم

سرتت ظهور هذه اللغة الشبابية بأنها احتياج ضمنى على ما آل إليه حال الكلام المتحرفا، والمتحرف أن هذه اللغة الجديدة المرفوعة من المؤسسات والسلطة على حد سواء، هى نوع من تنشيط مركبة اللغة

متزايدة حتى يفقد أصول ووظائفه، فبدلاً من أن يصبح تبادل سعيًا إلى الفهم والتفاهم، يصبح تبادل أقرب إلى الدفاعات ضد الفهم، متجاوزاً المعنى المشترك المراد، فلا يعود يؤدي وظيفته المعرفية، بل يصبح عبئاً على اللغة الكائن الحي، ومن ثم على الوجود البشري المتكامل، وينقلب عائقاً للنمو، ومضيقاً للوقت، ومظهراً للاغتراب. الأرجح أن هذا هو ما يسمى بالعامية الساخرة: أحياناً "طق حنك" أو "أى كلام" أو "كلام فى الهجايس".

وقد عبرت اللغة الشبابية عن هذا الاغتراب بقاموس كامل لمن شاء أن يرجع إليه، حتى أنني فسرت ظهور هذه اللغة الشبابية بأنها احتجاج ضمني على ما آل إليه حال الكلام اغتراباً، واعتبرت أن هذه اللغة الجديدة المرفوضة من المؤسسات والسلطة على حد سواء، هي نوع من تنشيط حركية اللغة، مثلما يقوم الشعر بتجديد اللغة، حين يعيد تشكيل الصورة بنفس الأبجدية اللفظية لبيدع لحنا مختلفاً في تشكيل جديد، وتفصيل ذلك فى مبحثي "حركية اللغة بين الشعر والشارع" ([2]).

من خلال هذا الاغتراب المتماضى تتحول الكلمات إلى أصوات، مهما كانت هي نفس الكلمات ذات التاريخ والمعنى كما قد تتحول الجمل إلى مقاطع مفككة بلا تشكيل ضام أو هادف، ويتحول هدف الكلام إلى "تزجية للوقت"، كوسيلة دفاعية ضد الوعي الأعمق بالمعنى، فالإلزام بالفعل، ويتحول التواصل المحتمل بالكلام الحي، إلى صفقات تسكينية قصيرة العمر. يصدق كل ذلك فى الحياة العامة مثلما يصدق فى بعض ما يسمى العلاج النفسى الذى وصف فى كثير من الأحوال بأنه: "العلاج بالكلام".

إرتباط المقدمة و الفصل الأول:

www.arabpsynet.com/Books/eB.YahiaB31.pdf

مؤسسة العلوم النفسية العربية إصدارات

*** **

سلسلة الكتاب العربي " نفساني " (إصدارات مكتبة معكمة في علوم وطب النفس)

59 (خريف 2018) الإصدار

الموجز العربي للصرح التميمي

أ.د. سعاد جواد التميمي

http://www.arabpsfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

<https://www.facebook.com/NafssanyBook/>

مجلة " بناصر نفسانية " (المستجدات العربية في علوم وطب النفس)

العدد 21- 22 (صيف - خريف 2018)

"علم النفس الإيجابي و النشاط البدني الترويحي"

- اشرفه على الملوه: أ.د. مرمي سلامة يونس (مصر)

http://www.arabpsfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3

www.facebook.com/BassaaerNafssania-Magazine-259758497705299/

المجلة العربية " نفسانيات " (مجلة معكمة في علوم وطب النفس)

العدد 59 (خريف 2018)

الملوه: " مستجدات اضطراب الوجدان التناقضي "

- اشرفه على الملوه: أ.د. بديةة والطي (الجزائر)

http://www.arabpsfound.com/index.php?id_category=24&controller=category&id_lang=3

<https://www.facebook.com/NafssaniatJournal/>

من خلال هذا الاغتراب المتماضى تتحول الكلمات إلى أصوات، مهما كانت هي نفس الكلمات ذات التاريخ والمعنى كما قد تتحول الجمل إلى مقاطع مفككة بلا تشكيل ضام أو هادف